في ظلال الأخوة

اسـم الكتـاب: في ظـــلال الأخـــوة

التـأليـف: أمـاني عبـد السـلام

نـوع العمـل: خـواطر

مراجعة وإخـراج فنـي: سالم عبد المعـز (عمـرو سـواح)

رقـم الإيـداع: 2021 / 3679

الترقـيم الـدولي: 978-977-835-240-5

النـاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر

Facebook

Email za7ma-kotab@hotmail.com

Tel 002 01205100596

002 01100662595

في ظلال الأخوة

خواطر

الكاتبة

أماني عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

كم كنت أتمنى أن أقطف من عينيه ثمرةَ رضى عند قراءة أولى كتاباتي!

وكم كنت أتوق إلى ابتسامةِ إعجابٍ من شفتيه عند قراءه كلماتي

لكن الموت وميعاد الأجل إليه سبقني

رحم الله أبي

ما كان يعجبه شيءٌ مثل النجاح..

ولا كان يسوؤه شيءٌ كالاستسلام للفشل

كان العلم ماله ودراهمه، وجل اهتمامه

فإلى روحه الطاهرة أهدي أولى كتاباتي..

أماني عبد السلام



مُقَدِّمَة

نحن نكتب كلماتنا للذين سيدركون معناها...

للذين سيقرؤونها بقلوبهم قبل عيونهم...

للذين ستنبض بهم الحياة مع كل كلمة

ويهزهم الشوق مع كل عبارة..

للذين تشربوا صدق الإخاء في الصغر..

فارتووا بينابيعه عند الكبر..

للذين يحفظون للصداقة حقها ومستحقها...

ويدركون جيدًا ما لها وما عليها..

للرائعين الذين ألقوا بذور إخائهم في قلوبنا..

فأزهرت حدائق غناء..

تفوح بعبق حبهم..

نكتبها للنادرين..

الذين لن تكررهم الأيام..

للذين تركوا أثرًا لا يزول..

وبصمات لا تغير...

للذين رافقونا على طول الطريق..

كجسدٍ واحدٍ وروح واحدة..

للذين لا يتبدلون ولا يتلونون..

للذين لا يميلون مع الريح ...

ولا يتقلبون مع الفصول...

للأصفياء الأنقياء الذين ساندونا في السراء والضراء..

للذين كانوا لنا لا علينا..

في طريق الخير أعانونا.

وإن حدنا عن الطريق أمسكونا..

إلى أولئك الذين نذكرهم ونحن نبتسم..

وننسج حروفنا وأمام عيوننا وجوههم ترتسم..

تسبقنا الكلمات فنعجز عن إدراكها..

ولا نستطيع منعها من البوح بهذا الحب..

لإخوة بادلونا صدق المشاعر...

وطهر المحبة..

نكتبها وقلوبنا تتضرع إلى الله أن يديم فيه محبتنا..

وأن يجعلنا ممن يظلون تحت عرشه..

يوم لا ظل إلا ظله

مؤلف الكتاب

أماني عبد الغفور عبد السلام

في ظلال الأخوة

إنه أخي الذي لم تلده أمي... ولا البطن التي أنجبته أنجبتني.. لا تربطني به قرابة أو نسب.. ولا بلدة ولا عشيرة أو حسب.. جمعتني معه صلةٌ في الله وأنعم بها من صلة.. وقربى في الدين أي قربى!

ضمتنا دروس المساجد.. ونعم الدار بيوت الله، هي للأخلاء خير حافظ وحارس.. إنه أخي الذي شاركني الفرح... وما تخلف عني وقت الترح.. إنه أنا وأنا هو.. مفردنا مثنًى ومثنانا مفرد.. عجزت عن وصف الأخوة ضمائر اللغة... فكيف لها عن وصف اثنين في واحد... وواحد في اثنين.. روحين لروح... وجسدين لجسد.. إذا اشتكى اشتكينا.. وإذا اشتكينا اشتكى.. وتداعينا له وتداعى لنا..

قـال لـي المحبـوب لمـا زرتـه مـن بالبـاب؟ قلـت: بالبـاب أنـا

قـال لـي: أخطـأت تعريـف الهـوى حـين فرقـت فيـه بيننـا

ومضـى عـام فلمـا جئتـه أطـرقُ البـابَ عليـه موهنـا

قـال لـي: مـن بالبـاب؟ قلـت: انظـر فمـا ثـم إلا أنـت بالبـاب هنـا

قـال لـي: أحسـنت تعريـف الهـوى وعرفـت الحـب فادخـل يـا أنـا..

هو قمري الذي يضيء غاسقي إذا ما اشتدت ظلمته..

وشمسي التي استوقد نارها إذا طوقني برد الشتاء القارس..

ونجومي التي أهتدي بها في ظلمات السفر إذا ضللت الطريق..

هو السماء الصافية التي تسكن نفسي بالنظر إلى جمال زرقتها وبهاء طلتها..

والبحر الذي يأخذ مع هدير أمواجه كلّ همّ يسكنني أو ضعف ينتابني..

هو كل الأماكن الجميلة التي أجوبها..

وكل طبيعة أتأملها..

هو كل شيء جميل عرفته... وما زلت أعرفه...
في ظل الأخوة يستظلون في الدنيا...
وفي ظل الرحمن يستظلون يوم لا ظل إلا ظله...
حبهم رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة...
ما خاب من أحب أخًا لا يحبه إلا لله وفي الله..
عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن الله - عز وجل- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي "
على درب النور يلتقون..
وعلى حبه يجتمعون...
وفي ظلال عرشه يستظلون...
فأي محبة أصدق من تلك المحبة؟
وأي نقاء في السريرة أنقى وأصفى؟
إذا كان حب الله يجمعهم. فمن ذا الذي يفرقهم؟
عن أبي أمامة الباهلي- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
" ما أحب عبدٌ عبدًا لله، إلا أكرم ربه - عز وجل - "

من امتلك أخًا في الله فقد حاز كنزًا لا يقدر بثمن.. وثروةً لا تعد ولا تحصى.. يمتد خيرها في الدنيا والآخرة،

وجوههم يوم القيامة نور.. ويجمعون على منابرَ من نور.. فأي نور بعد تلك الأنوار؟

قال تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[الزخرف: ٦٧]

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش - وكلتا يدي الله يمين - على منابر من نور، وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء، ولا شهداء، ولا صديقين "، قيل: يا رسول الله من هم؟، قال: " المتحابون بجلال الله تعالى "

فكيف لا ُ نحبه.. وفي أكناف حبه نَستظل ونُظل.. ونستنير ونُنير.. ونُكرِم ونُكرَم؟

وكيف لا نحبه.. وأحبهم إلى الرحمن من هو أشد حبًّا وأصدق محبة لصاحبه؟

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"ما تحاب رجلان في الله، إلا كان أحبهما إلى الله، أشدهما حبًّا لصاحبه "

الأخوة علاقةٌ ساميةٌ لا تضاهيها علاقة..

أن أحب أخًا لا أحبه إلا لله...

أن أجد قلبي وعقلي وروحي وكل جوارحي مع إنسانٍ لا تربطني به علاقة إلا أني أحببته في الله..

أتألم لألمه، وأفرح لفرحه، وأحزن لحزنه.. وأمرض لمرضه...

انسجام ما بعده انسجام..

وتآلف ما بعده تآلف...

قلبان ينبضان معًا...

وروحان تشعران معًا... تحلقان معًا في سماء الأخوة الصادقة..

مرض الحبيب فزرته

فمرضت من أسفي عليه

فأتى الحبيب يزورني

فبرئت من نظري إليه

أخبره أنك تحبه

أخبر أخاك أنك تحبه.. وأن في الله حبه..

عبر له عن مكنونات صدرك.. ومشاعر الحب في قلبك...

بِثّ له من فيض الإخاء الذي يملأ روحك وقل له: (إني أحبك في الله).

عبّر له بصريح العبارة عن ذلك الحب الذي يملأ قلبك.. فالأذن تطرب بجميل الكلام.. والقلب يزيد محبةً على محبة.. فالتصريح بالحب يزيده ويؤكده ويثبته...

قال رسول الله ﷺ: (إذا رأى أحدكم من أخيه ودًّا فليعلمه إياه)

الأخوة قلبان تحابّا.. وروحان تآلفتا.. ونفسان تشابهتا..

الأخوة حب وتشابه وتآلف...

قال رسول الله ﷺ:

(الأرواح جنودٌ مجندة.. ما تشابه منها ائتلف وما تنافر منها اختلف).

الروح تنجذب مع من يشابهها.. وتألف وتأنس بصحبته.. وتتعطش لتغرف من نهر حبه ماء الحياة النقي الصافي... وتستمطر من سحبه وابلًا ينبت في قلب صاحبها جنات يرتع في جنباتها ويستظل بفيئها..

أن تجد من تأنس بصحبته فقد امتلكت خيرًا عظيمًا.. فالحياة بقربه جنة ولو أقفرت الأرض من حولك.. وغدت جرداء قاحلة...

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: النعم تكفر، والرحم تقطع، ولم نر مثل تقارب القلوب.

فأنت مع من تحب.. فاختر من تحب.. وأحسن الاختيار.. اختر من يدلك إلى الله مقاله.. ويذكرك بالله حاله.... تجتمعان في الله... وتفترقان فيه... وتتناصحان فيه.

عن أنسٍ بن مالك - رضي الله عنه - قال: رأيت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرحوا بشيء، لم أرهم فرحوا بشيءٍ أشد منه، قال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به، ولا يعمل بمثله، (وفي رواية: ولا يستطيع أن يعمل كعمله) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: المرء مع من أحب.

*****

ابتسم له

تجمعهم أوثق العرى... وأصدق الصفات.. وأنقى محبة... فكيف لا يلقاه بعد كل هذا بوجه باسم.. وثغر مفتر... أبسط الأشياء المعنوية التي لا تكلف شيئًا... إلا أن لها مفعولًا عجيبًا.. تعجز عن وصفه الألسن..

قال رسول الله ﷺ: (لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)

الابتسامة الصادقة هي ساعي البريد الذي ينقل رسائل الود والمحبة بين الأخ وأخيه.. فيزيد رصيد حبه في القلوب... من غير أن ينقص من رصيد أخيه شيء.... إنها معادلةٌ معنويةٌ خارجةٌ عن قوانين الرياضيات والجبر... لا تحكمها قاعدة... ولا قانون.. إلا قانون الحب في الله..

يا صاح لا خطر على شفتيك أن تتثلما والوجه أن يتحطما

فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى

والدجى متلاطمٌ ولذا نحب الأنجما

إنها سعادةٌ بأقل التكاليف... لا تحتاج إلى بذل وتكلف.. بل إن تأثيرها يفوق كل الماديات....

إنها دأب رسول الله ﷺ وأصحابه..

عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال: (ما رأيت أحدًا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ)

الابتسامة مفتاح القلوب المغلقة.. فكيف بقلوب الأحبة؟؟ أخبر نفسك عن مدى سعادتها عندما يلقاك أخٌ لك طليق الوجه باسم الثغر.. وعن مدى امتعاضها عندما يلقاك وقد كسا محياه العبوس.. فالعدوى تنتقل سريعًا بين قلوب الأحبة..... البسمة عافية على قلب أخيك.. والعبوس كدرٌ ومرض... لا تستوي الكفتان في ميزان الأخوة.. فكفة الابتسامة هي الراجحة بلا شك..

قدّم له الهدايا

قدم له الهدايا.. فالهدايا مفتاح القلوب.. قال رسول الله ﷺ (تهادوا تحابوا..)

قدم له على قدر مستطاعك فالهدية بقيمتها المعنوية وليست المادية.. فَكَرْتٌ صغير يفيض بمشاعر الإخاء قد يحدث ما لا تحدثه هدية بأسعار باهظة..

لا تألُ جهدك في التعبير عن المحبة.. فالنفس البشرية بطبيعتها تميل إلى من يظهر محبتها ويعبر عنها.

المحبة الصادقة تحتاج إلى ما يدل عليها.. إنها تمامًا كنظريات الرياضيات التي نثبتها بالأدلة والبراهين لندلل على صحتها... فجميع المشاعر في ركود دون البوح بها... تحتاج إلى أنهارٍ تجريها لتصب في بحار المودة.

فنجانٌ من القهوة أو كوبٌ من الشاي ترتشفانه معًا تحت ظل شجرة.. تختلطان مع الطبيعة.. تتربعان بين زهورها وأعشابها... وتستظلان تحت سمائها.. تتبادلان أطراف الحديث وتمتزجان مع الذكريات الجميلة والعهود القديمة... في ذلك ما يغني عن مئات الهدايا التي لا تحدث ما يحدثه لقاء تكسوه المحبة وتسوده الألفة.... لقاءٌ يعيد للنفس صفاءها... ويشحذ همتها... لتمضي قدمًا في طريقها...

لا تحتاج الأخوة إلى التكلف... إن المعنويات هي ما يحكمها... ويصقل جوهرها... فالقليل من أخي في عيني كثير... وفي كل ما يقدمه قل أو كثر خير وفير... الأخوة الصادقة ليس فيها انتقاد في الماديات أو ما يجر إليها... إنها علاقة مترفعة عن كل ما يخدشها أو يؤذي عظمتها.

*****

عيادته في مرضه

من المواطن التي تتجلى فيها الأخوة.. هي عيادة الأخ عند مرضه.. إذ كيف هو الحب إذا ما تلاحمنا وتداعينا لبعضنا في أفراحنا وأحزاننا.. وفي عافيتنا وألمنا.. كجسدٍ واحد.. وقلبٍ واحد.

قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

لم أرَ تناسقًا وتناغمًا قط كأرواح المتحابين في جلاله... يمرض أحدهم فيمرض الآخر لمرضه.. ويبرئ لبرئه.........

وفي الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل خير مثال في ذاك

مرض الحبيب فزرته

فمرضت من أسفي عليه

برئ الحبيب فزارني

فشفيت من نظري إليه

أي حب في الله ذاك؟ وأي تآلف في القلوب؟

في فراش المرض يعيش المريض حاله من الألم والتعب يحتاج فيها إلى يدٍ تربت على ظهره وتخفف من مصابه وفي ذلك أفضل مواساة.. عندما تعود أخًا لك قد أقعده المرض فأنت تمنحه طاقة ليست كأي طاقة وتحيطه بهالة من الحب والإخاء لتأخذه بعيدًا عن أجواء المرض وتحلقا معًا في سماء الأخوة ولسانك يلهج بالدعاء له أن يشفيه الله ويرد له عافيته.....

زيارتك ستمنحه إحساسًا بالشفاء المعنوي.. سيلملم آلامه.. ويستجمع قواه... ليكون حاضرًا معك في كل لحظة...

زيارة قصيرة ستعني له الكثير... فالأخ في مواطن الشدة... وفي مواطن الضيق.. أصدق ما يكون في مواقفه... اصطحب معك شيئًا يحبه... مثل كتاب تعلم أنه يحب قراءته... أو ضمة من الورود تبهره بجمالها... أو علبه من الشوكولاتة من النوعية التي تعلم أنه يحبها... اصطحب معك شيئًا تعلم أنه يعني له شيئًا..

أجبه إذا دعاك

ما أجملها من دعوة إذا كانت ممن نحب... فقلب صاحبها يسبق لسانه في الدعوة... دعوة من القلب إلى القلب فكيف نرده؟ إلا إذا أقعدنا أمر خارج عن إرادتنا.. فنعتذر منه ونعبر له عن أسفنا لعدم الحضور ونخبره بأننا خسرنا لقاءه ورؤيته...

لبِّ دعوته ما استطعت... ستزيد الألفة وستتوثق عرى المودة.. فأنت لا تعرفه إذا لم تطرق بابه يومًا ولا عرفته...

عن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

"خرج رجل يزور أخًا له في الله في قرية أخرى فأرصد الله له ملكًا فجلس على طريقه فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل له عليك من نعمة تربها؟، قال: لا، قال: فلما تأتيه؟ قال: أني أحببته في الله - عز وجل - قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه ".

المحبة الصادقة لا تكمن في كثرة اللقاء... فالبعض فرقتهم البلدان وجمعتهم القلوب.... باعدتهم المسافات وقربهم صدق التآخي... وشغلتهم المشاغل ومتاعب الحياة.. ووحدهم صدق الدعاء لبعضهم في ظهر الغيب.

قد تدعو أخًا لك في الله فرقتك عنه الظروف في كل عام مرة... وهذه المرة قد تعادل المرات من الزيارات التي لا تحدث في قلبك ما يحدثه هذا اللقاء... لقاءٌ تشعر بعده بفيض من الشعور الجميل يملأ روحك... ويغذي قلبك.. ويشحن همتك...

أن تجد أخًا يزودك بكل هذه المشاعر فأنت في نعمةٍ عظيمةٍ يفتقدها الكثيرون ممن لا تجمعهم الأخوة الصادقة.. أو الذين جمعتهم المصالح لغرض دنيوي.. أولئك ستفرقهم أدنى الأسباب وأبسطها... سيجدون لأنفسهم أتفه الأسباب وأقلها لاصطناع المشاحنات... وسيقفون بالمرصاد على أخطاء بعضهم ليتفرقوا.. سيدققون في كل كلمة ليفسروا على أهوائهم.. سيضعون قاموسًا للغات في تفسير كلام بعضهم البعض ليثبتوا سوء النوايا...

أن تجد أخًا واحدًا يجمعك حب الله معه..... يغنيك عن الكثرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع في صحبتها.

قدم له النصيحة

إن من خير ما يؤتَى المرء أخًا صالحًا...

إذا رآه على الطاعة أعانه...

وإن حاد على الطريق أعاده...

أخٌ إن رآك في طريق الخطأ أستوقفك وبالله ذكرك..

فالأخ الصدوق لا يتوانى في بذل النصح لأخيه.. فهو المرآة التي يرى نفسه من خلالها، وهو انعكاس لأقواله وأفعاله... وصدى صوته الذي يرجع إليه... الاختلال في نقطةٍ واحدةٍ وهدفٍ مشتركٍ واحدٍ سيقلب موازين الرسم... سيتحول إلى صورةٍ أخرى مختلفة تمامًا عما كانت عليه...

نحن في تقلبات الدهر قد نتوه أو نضل الطريق.. أو قد تأخذنا دوامة الأماني فننسى... أو قد تغرنا الدنيا فنحيد عن السبيل..... قد يراك من يراك غريقًا في أمنياتك، تائهًا عن سبيلك، عالقًا في دوامتك، ولا يكترث لما يحل بك... فالكثيرون لا يدركون أخطاء بعضهم.. فكثير من الأخطاء مكسوة بثياب الصحة... مزخرفةً بألوان الصواب... في ظاهرها الرحمة.. وفي باطنها ألوان من العذاب.... لا يرى باطنها إلا عارف بالله.. قد أنار الإيمان بصيرته... فاستنار وأنار... في مثله فلنتشبث.

إن الأسلوب الذي تقدم فيه النصيحة أهم من النصيحة ذاتها... فكُثر هدموا بدل البناء.. وأفسدوا بدل الإصلاح.. أفواههم في النصيحة كَفاهِ تنين ينفث بالنار فيحرق من أمامه... وألسنتهم كلسان أفعى تنفث بالسم فتسري بالأجساد لتقتل بدلًا من أن تهب الحياة... ودوي أصواتهم كريح صرصرٍ تنزع قلوب الناس بدلًا من أن تلقي إليها بذور النصح....

كل ذاك انتقامٌ مغمورٌ بدثار النصيحة...

من قال يومًا بأن الأصوات العالية... والأساليب البعيدة عن اللباقة... تحدث شيئًا في النفوس...

الأرواح مثقلة بما فيها من الهموم... فلا تكن كالشعرة التي قصمت ظهر البعير...

الأخ الصادق في حبه سيقدم لك:

النصيحة بصدق.... الصدق في القول والأسلوب...

كلامًا يبث من الروح لتحتضنه الروح الأخرى بكل حبٍّ وألفة...

نصيحة محملة على أجنحة من ود.... ونسائم من المحبة...

كلامًا مبعثه القلب... ومستقره القلب الآخر..

كلامًا من القلب إلى القلب...

لا أتحدث هنا عن مثاليات.. أو أمور خارقة خارجة عن المألوف... أو أشخاص ليس لهم وجود في الواقع... بل إن الحلقة المفقودة اليوم هي (الحب في الله)... لأن محبة الله هي أساس كل شيء.. ومن أحب الله أحب فيه.. ومن جمعهما حب الله معًا... سيتبعان كل ما يحب الله... وسيغذان السير في الطريق الذي أراده لهم....

إن معظم الصداقات اليوم قائمةٌ على المصالح..

مبنية على شفا جرف هار...

تنقضها أقل الخلافات..

وتهدمها أبسط النزاعات..

فهذه الصحبة بعيدةٌ كل البعد عما نتحدث عنه... أو ندعو إليه... والأولى أن يدرجوا تحت مسمى المعارف وليس الأصدقاء كما قال ابن القيم: "إنما ينبغي أن تنقلهم من ديوان الأخوة إلى ديوان الصداقة الظاهرة.. فإن لم يصلحوا لها نقلتهم إلى جملة المعارف وعاملتهم

معاملة المعارف، ومن الغلط أن تعاتبهم.

وجمهور الناس اليوم معارف ويندر فيهم صديق في الظاهر، فأما الإخوة والمصافاة فذاك شيء نسخ فلا يطمع فيه"

فالأخ الصادق عملة نادرة.. فَمَنْ مَنّ الله بمثله عليه فليعضض عليه بالنواجذ...

*****

رسائلي إليك

الذكريات

يا صديقي..

ذكرياتي معك كفصل الربيع.. تكسو جزءك في ذاكرتي ثوبًا أخضرَ.. زينته أيامنا وليالينا... ونثِرت على أطرافه زهور أحلامنا وورود أمانينا... ونسجت على صدره خيوط المحبة بأبهى ألوان الطبيعة.. لتعبر عما فينا.... كغصنين يانعين كنّا.. لشجرة دائمة الخضرة.. التحما وتفيئا تحت ظل أوراقها.. ثم تفرقا يا صاحبي... وما زال الظل يكسوها.... ففي ظلالها عشنا... وتحت ظلالها نحيا في أي أرض كنّا...

فشجرة الإخاء نضرة لا تذوي مهما اعتراها من المواسم..

لا تحسبنّ يا صديقي أن البعد يجفينا... أو أن القرب هو ما يدنينا.. إنها القلوب يا صاحبي... إذا حملت ودًّا ترحلت به أينما حلت.. فما سكن القلب استوطنه ولم يخرج منه ما دام صاحبه حيًّا... وذاك هو سر شعورنا في اللقاء بعد سنواتٍ عجافٍ أننا ما تفرقنا يومًا ولا غبنا... وكأننا قبل أيامٍ معدودةٍ كنا كسابق عهدنا....... فأرواحنا يا مهجة الروح تتعانق قبل أجسادنا... وقلوبنا تبصر بعضها قبل عيوننا... ومشاعر الحب الفياضة تتصافح قبل أيادينا..

كبرنا يا صديقي وكبرت الذكريات في قلوبنا... إنها تكبر مع كل موقفٍ عابرٍ يذكرنا بما مضى... فيهزنا الحنين ويضنينا الشوق.. لتعود بنا الذاكرة حيث كنا صغارًا هناك... يلفنا الوطن بذراعيه.. ويمهد لنا طريقًا نسلكه لنصل إلى ما نصبو إليه مهما استصعبَتْ علينا الطرق...

ما زلت أذكر جيدًا طفولتنا البريئة... وضحكاتنا المجنونة التي كانت تملأ فضاء المكان... لم يكن يشغل بالنا آنذاك أي شاغلٍ يعكر علينا صفو الحياة.. ولا متعة اللقاء... ولا زال يا صديقي لفنجان القهوة معك سحرٌ خاصٌ وطعمٌ آخر.... فإن ترتشف شيئا تحبه مع من تحبه يزيده لذة وبهجة.. ويتضاعف الشعور الجميل بالمذاق والطعم.. قهوة بنكهة الأخوة... خالية من الشوائب.. بعيدة عن النفاق والمظاهر الخادعة والكلمات المبطنة... وهذا ما يضفي على النفس الراحة ويلفها بثوب السكينة...

*****

تقلبات الحياة

وما زالت أمواج الحياة يا صديقي تتقاذفنا بين مدٍّ وجزر.. ترتفع بنا إلى أعلى القمم.. ثم تهوي بنا إلى حيث مبعثها علّها ترسينا على شاطئ الأمان حيث الأمنيات الجميلة والأحلام المزخرفة بلون البحر.

وما زلنا يا صاحبي نترحل بين برد الشتاء وقيظ الصيف... وبين حزن الخريف وابتسامة الربيع.. ولا زلنا نسير في الأفلاك تتعاقبنا حلكة الليل ثم يكسونا ثوب النهار...

تحزننا دمعات الأغصان المتعرية في الخريف.. ويثقلنا بكاء السحب الممتلئة في الشتاء... تبهجنا خضرة الربيع... وتبكينا حرارة الشمس في الصيف..

دوامة المتضادات يا صديقي لا تنتهي.. حتى ذاتها الحياة التي نحياها نهايتها الموت.. وما بعدها إما جنة وإما نار قنا يا ألله عذابها واجعل الجنة مستقرنا....

التجديد يبهج النفوس

ولا زال يا صديقي في جعبتي الكثير لأخبرك بما لم أخبرك به من قبل.. ولأقص عليك من قصص الأيام صفحاتٍ كثيرة، نقلبها في كل يوم بعد أن ننهي سطور يومنا بما نطيق وما لا نطيق...

علمتني اللغة يا صاحبي وكان لي فخرٌ أن تعلمني.. أن النقطة في نهاية الفقرة لا تعني النهاية.. بل هي بدايةٌ جديدةٌ لفكرةٍ أخرى لذات الموضوع.. فلو تشابهت الأفكار وتكررت لاستولى علينا الملل.. وللبسنا ثوب الضجر... فالتجديد يا صديقي مفتاحٌ للقلوب المقفلة.. وسعادة للنفوس الكسيرة.. وجنة خضراء للقابعين في الجحيم...

لا تجبر نفسك يومًا على البقاء بما لا تطيق.. لأنك ستخسر بالمقابل الكثير من أجزائك.. بل ستنعكس الموازين في ناظريك.. سترى في شروق الشمس غروبًا... وفي أولها فجرًا.. سيتحول ربيع قلبك إلى شتاءٍ قارسٍ أو إلى صيفٍ قائظ...

والنسيم العليل الذي كان يداعب أجفانك سيتحول إلى عاصفة هوجاء تقتلع قلبك عن بكرة أبيه وتلقي به في صحراءٍ مقفرة.. حيث لا شيء إلا السراب..

سيحدث أثرها يا صاحبي أن يتضاءل شعور الفرح في ناظريك.. وينمو شعور الحزن ويزداد.. سيتقلص كل شعورٍ جميلٍ يجب أن نعيشه.. وكل لحظةٍ مفرحةٍ يجب أن نتقاسمها.. فما نتحمله اليوم قد لا نطيقه غدًا.. وما نجبر عليه أنفسنا إجبارًا.. سيكون ثقلًا يكسرنا يومًا ما..

*****

أشتاق إليك

يا صديقي:

طوقتنا جيوش البعد في غيابك..

فرفعنا راية الحنين لقربك...

حلت بنا سنواتٌ عجاف....

فدعونا الله عامًا نغاث فيه بلقائك..

كنجمة أنت تهدي طريق السفر

أو كبحرٍ بين مدٍّ وجزر راح يمتع النظر

أنت رصيدي الزاخر في بنك الأخوة

وسهمي النامي في شركات الحب

أرسل لك في كل يوم رسائلي القلبية..

فالقلوب حمامنا الزاجل مهما تباعدنا من سنين...

الأرواح الجميلة كنز

بعض الأرواح يا صديقي حدائقُ غنّاءٌ مترعةٌ بأجمل ما تراه العيون..

أرضها مراح....

وفي النظر إليها المستراح..

ما إن تطأها قدماك فتغيب فيها في ملكوت الله...

خصبٌ يا صديقي تربها...

تنغمس في نعيمها...

مصافحاً زهورها.. منتشياً بعبق رحيقها...

تحتضن أشجارها... وتستظل بفيئها...

تتوسد أعشابها وترتع في جنباتها...

تنهل من ينابيع العلم على أرضها..

وتقطف ثمار الأخلاق من بساتينها...

أرواحٌ ليست كباقي الأرواح..

نور الله يملؤها..

وشمس حبه تنير في جنباتها..

نجومها مصابيح التائهين..

وفي ترانيم طيورها تذكرةٌ برب العالمين...

وبين خضرتها ونضرتها راحة للمتعثرين....

غيومها مثقلةٌ بالحب..

وقطرات أمطارها حياة لليائسين...

أرواحٌ تعبد الله كأنها تراه.. وهي لا تراه

وتعرف أن الله قريب لمن ناجاه....

*****

جاهد للوصول

أحلامنا يا صديقي مثل طفلٍ رضيع.. نتعاهده بالرعاية حتى يشتد ساعده ويكبر.. لكنها محطاتٌ كثيرةٌ تستوقفنا حتى نبلغ مرادنا... قد نتعثر... قد تدمينا الأشواك.. أو نسقط مغشيًّا علينا من شدة الأوجاع...

لكن كل ذلك مثل زبد البحر يذهب جفاء... وتكمن نشوة الفرح عندما تجتاز طريق النهاية... ثم نغدو من جديد نحو حلمٍ جديدٍ وغايةٍ جديدة..

البدايات الصعبة يا صديقي تخفي وراء أسوارها بساتينَ من ورود النجاح... سنقتحم أسوارها بصدق العمل الدؤوب ونستسقي النجاح من ربٍّ رحيمٍ إذا رأى صدقًا من العبد صدقه ووفقه...

*****

طريق النجاح

طريق النجاح يا صديقي... هو ذاك الطريق الذي يبكيك ويضحكك..

يدميك ويداويك..

يحزنك ويفرحك..

ذاك الطريق الوعر الذي تسلكه في بداية السباق بصعوبةٍ بالغة...

ثم يمهد لك نفسه لحظة الوصول.. لتقطف في نهايته ثمرة نجاحك...

وتستلذ بطعم تفوقك...

قرأت يا صديقي كثيرًا في سير الناجحين....

وأيقنت تمامًا أن النجاح حليف المثابرين الصادقين...

الذين صدقوا في أهدافهم.. وداوموا على السعي نحوها...

أولئك الذين لم يعرف اليأس طريقًا إلى قلوبهم...

بل صنعوا من كل فشل اكتووا بناره ربيعًا أخضرَ..

أزهر في قلوبهم وعقولهم.. وأنار بصائرهم...

أحوالهم أثناء السعي كتقلبات الفصول...

فقد أزهروا في الربيع..

وتساقطت أوراقهم في الخريف...

واحتضنوا أشعة الشمس اللاهبة في الصيف..

واكتسوا حلة بيضاء في الشتاء...

حتى اقتحموا في النهاية أسوار النجاح...

*****

هات يدك

يا صديقي.. هاك يدي وهات يديك...

لنمضي معًا في ربوع الأخوة...

ننهل من نبعها الصافي...

ونحتمي تحت فيئها..

نعانق أغصانها..

ونتفقد فروعها..

نتغذى من ثمار محبتها..

ونستقي ماء الوفاء من أمطارها..

نتدثر أوراقها...

ونتزين بزهورها...

نتعطر بعبق رحيقها...

ونعانق النسيم العليل على أرضها

هيا بنا يا صاحبي

حيث الدفء والسكينة...

حيث الوفاء والإخلاص...

هناك حيث تبتسم لنا الشمس...

وتغني لنا الطيور...

ويداعبنا النسيم..

تظللنا سماء يجللها البياض..

وتغيب عن ملامحها كل أوشحة السواد..

هناك حيث لا نفاق ولا خداع..

ولا غدر ولا خيانة...

هناك يا صديقي حيث الضحكات البريئة...

والمغامرات الشيقة...

واللقاءات الجميلة...

كل شيء ما زال يتكرر في الذاكرة.. كأنه وليد اللحظة..

وكأننا ما زلنا هناك.. لم نبرح أماكننا

*****

دروس العلم

لا أفتأ أذكر تلك الرياض..

حيث كنا نرتع...

الدرس الأول لا ينسى..

لطفلةٍ كانت في التاسعة من عمرها..

لم أحظَ بسعادةٍ كتلك السعادة من قبل..

ولم أشعر براحة وسكينة كالتي شعرتها..

ومنذ ذلك اليوم واظبت على حضورها إلا في الشديد الطارئ...

علمت وقتها أن السعادة الحقة أن تكون مع الله...

وأن تتقرب من كل شيءٍ يقربك إليه..

هناك يا صديقي حيث التقينا..

وما زلنا نلتقي بأرواحنا التي تعيدنا حيث المنشأ الأول...

والسعادة الأولى..

أن يظلنا سقف بيت اللهِ..

ويجمعنا معًا على ذكر اللهِ..

ويفرقنا عليه..

شعور يصعب وصفه..

إلا لمن عاش بنفسه تلك اللحظات..

هناك حيث اجتمعنا على محبته...

فكسا قلوبنا ثوب المحبة بيننا..

والتقينا على طاعته..

فجمع أرواحنا على الطاعة رغم تباعدنا...

وتعاهدنا على الوفاء...

فأورثنا أخوة نَتَفَيَّأُ ظلالها ما عشنا...

وما زالت يا صديقي ألسنتنا تلهج بالدعاء..

أن يثبت قلوبنا لآخر عمرنا...

*****

القهوة

للقهوة معك حديثٌ آخر.. كانت تأسر نفسي بطيب مذاقها.. وتملك فؤادي بلذة طعمها.. ويكأن أبخرتها سحائب مثقلة.. تمطرني حبًّا.. وتشبعني حنوّا..

لا تحلو خلوتي معك إلا بها.. ولا تكمل فرحتي بجمعتي إلا معها.. لها سحرٌ خاص يجعل الأفئدة تهوي إليها وتحب قربها..

في جزيآتها روابط من الراحة والسكينة ترسلها إلينا عبر نسماتها "أكسجينًا" يمنحنا الحياة معًا من جديد.. نرتشفها فتغسل دواخلنا.. وترمم بقايانا... وتعيدنا صفحة بيضاء ولو للحظات.. فهي كالمخدر الذي يمنح المريض الراحة لساعاتٍ ليفيق على حقيقة أوجاعه من جديد.. كأننا نتقاسم معها رغيف الفرح ورغيف الألم.. لحظات الراحة ولحظات القلق..

هي الرابط المعنوي بيننا وبين الكتب.. وبيننا وبين الناس.. وبيننا وبين ذواتنا... تجمعنا مع السطور فتمطرنا وابلًا من النشوة..

وطلًّا من التركيز.. لنغرق بعدها في رحلةٍ شيقةٍ في لجج البحار..

نستجمع قوانا المبعثرة بطيب مذاقها.. وتلقي في بساتين قلوبنا بذورًا من السعادة بمجرد استنشاقها.... لا تحلو جمعاتنا إلا معها... ولا تكمل إلا بوجودها.. فهي يا صديقي تعطي للأجواء نكهةً خاصةً.. ومشاعر مغايرة... تؤلف بين القلوب.. وتبث شعاعًا من الراحة في الصدور....

*****

الصديق وقت الضيق

ولا زلت يا صديقي يدًا حانية تقتلع أشواك قلبي كلما انغرزت.. تمسح عليه بيديك الحانيتين.. ثم تمده بشعاعٍ من أمل...

لا زلت الطبيب الذي يسعف نفسي ويداوي جرحي كلما طوقتها الهموم وادْلَهَمَّت بها الخطوب.. وما زلت الثوب الدافئ الذي يلفني لتحميني من برد الشتاء... والمظلة التي تقيني حبات المطر...

تدرك جيدًا ما تقوله عيوني في لحظة ضعفي عن البوح... فتمطرني بوابلٍ من جميل قولك.. وشذى من عطر نصحك..

لا زلت أنت.. صديقي الذي عرفته منذ الطفولة.. لم تغيرك تقلبات الطقوس.. ولا تبدل النفوس...

*****

أكرم قلبك

بعض الكلمات يا صديقي مدادها الدماء، وصفحاتها حجرات القلوب..

القلب موطن الحب.. ومستقر الشعور..

مخزن الألم والحزن..

ومنبع الفرح والسرور..

في كل حجرةٍ منه يا صديقي حكاية فرح.. حكاية ألم.. أو مأوى حكاية..

ذاك الجزء الصغير.. يحمل بين صفحاته كل هذه المعاني

العبرة ليست بالحجم ولا بالكتلة..

العبرة بفيض الحياة الذي يتدفق من جنباته..

ويكأنه الأم تفيض بالعطاء على صغارها..

ففي كل خليةٍ منه دفقة حياة.. ولمسة حب..

أو كأنه حقلٌ تعددت زروعه.. فأزهر بعضها.. ويبس الآخر وتهشم..

قلبك يا صديقي أمانة فاحفظه..

ابنِ له سورًا عظيمًا وطوقه من كل العابثين..

اقفل عليه مفاتيحك جيدًا..

لا تفتح الباب لكل عابرٍ يطرق بابه..

فلصوص القلوب كثر..

يجردونها من كل معانيها.. ثم يلقونها فارغة على قارعة الطريق... لتصبح بلا قيمةٍ ولا معنى..

افتحه فقط لمن يستحق..

أكرم قلبك عن العابثين..

وأروه حبًّا صادقًا خاليًا من ألوان الشوائب..

لا تعذبه..

فالله منحنا قلبًا واحدًا.. وعقلًا واحدًا.. وحياةً واحدة..

*****

لا تيأسوا

امتطوا جواد أحلامكم.. ثم حلقوا في الأعالي....
خطوا فوق أديم السماء أمانيكم.
زخرفوها بأشعة الشمس.. ولونوها بضوء القمر..
أحيطوها ببروازٍ لامعٍ من النجوم...
ثم علقوها على حائطٍ من سحاب..
احفظوا صورتها جيدًا في أذهانكم..
ودعوها وداع اللقاء.. ثم استودعوها ربًّا لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء...
اهبطوا رويدًا رويدا...
عودوا حيث كنتم..
اسعوْا في مناكب الله ولا تقنطوا..
لا يقعدنكم طريقٌ شائكٌ في المسيرة.. فالشوك صراط الأمنيات.. فمن وقع فيه أحرقته نار الفشل.. ومن تجاوزه فتحت له أبواب النجاح...

العمر

أعمارنا يا صديقي أشبه بورقةٍ معلقةٍ على غصن الحياة، حتى إذا جاءها خريف الموت اصفرّت وذبُلت.... وفارقت وجه الحياة كدمعةٍ سالت على وجنتي الحزين.. أو كظل بدا في النور ثم كساه ثوب الليل العتوم.. أو كَينبوعٍ روى حقول الأرض ثم جف عطاؤه وغار في جوف الأرض كأنّ شيئا لم يكن.. أو كنزهةٍ أعددت لها كل العدد ومضيت فيها ثم انتهت كومضةٍ أو أقرب من لمح العيون..

العمر يا صديقي يعدو مسرعًا.... فلا يستوقفنك ما لا يستحق الوقوف.. ولا يشغلنك شاغلٌ عن غاية الوجود..

*****

قلوب الكتّاب

قلوب الكتّاب يا صديقي تنبض بالكلمات قبل قدح أقلامهم...... وعواطفهم تقطر فوق ثنايا السطور سابقة حبر مدادهم... فلا تظنن أن ما تقرؤوه لهم قد جاءهم على طبقٍ من ذهب.. لقد مرت عليهم تقلبات الفصول... وتغيرت عليهم المواسم...... فأزهروا في الربيع.. وتعرت أوراقهم في الخريف... واكتسوا حلة بيضاء في الشتاء.... واحتضنوا أشعة الشمس اللاهبة في الصيف.. ستجد في صفحاتهم فصول السنة.. وفي ثنايا السطور طقوسها.... فإذا رأيت قلبك يتقلب بين ربيعهم وخريفهم.. وصيفهم شتائهم... ووجدت ما وجدت في نفسك من أثر.. فاعلم صدق الكاتب فيما كتب... ووعي القارئ لما قرأ.

*****

اقرأ

قلت لصغيري ممازحةً له:

- إنني أخشى الظلمة، فلا تتركني وحيدة.

فما لبث أن جاءني بكتابٍ، ثم قال لي:

- اقرئي ريثما أعود!!

من علمه يا صديقي أن القراءة هي النور الذي يتسلل إلى ظلمات القلب فينيره؟

من علمه أن القراءة هي مؤنس للمستوحشين من عتمة الليالي؟!

من علمه أن القراءة هي النسيم الذي يداعب خبايا الروح فيداوي خيباتها ويبرئ جراحاتها؟

من علمه أن القراءة هي الوابل الذي يهطل على الروح المتشققة التي أضناها الجهل فيبعث فيها الحياة من جديدٍ وينبت فيها ثمار المعارف؟

من علمه أن الكتاب هو الصديق والرفيق إذا غاب الأصدقاء؟

من علمه أن الكتب هي جسورنا الممتدة إلى فضاء المعرفة.. التي إذا استوحلنا فيها نسينا عالم الماديات وغرقنا في نهمٍ بما يجعل لحياتنا معنى؟

نقرأ لنرتاح.. لنستنير.. لنغوص في بحار الكتب المليئة بأصداف اللغة.. ولآلئ المعرفة..

صدقت يا صغيري.. لولا سحر القراءة لما كانت "اقرأ" أول كلمة نزل بها الوحي..

*****

الكلمة الطيبة

وهل الكلمات الصادقة يا صديقي إلا كغيوم السماء المطيرة، تتلاقى بحب يؤلف بينها كغيمة سوداء مثقلة فتمطر الحروف كَوَابلٍ أصاب ربوة فأمسكتها القلوب فأنبتت الكلأ؟

*****

اصنع الطريق

يا صديقي

إن الأبواب المؤصدة والتي لم يرد الله لها أن تتفتح، لتلهمنا أن نصنع نحن بابًا آخر، ونجتهد في صنع المفتاح بالسعي، فالطرق الخاصة لهي أخف رغم ثقلها، وأنجع رغم صعوبتها، وأيسر رغم شدتها.

فأن تمشي خفيف الروح في طريق تملؤه الأشواك لهو أهون على النفس من أن تمشي مثقلًا في طريق بابه هو الشوك عينه.

*****

البدايات

صديقي العزيز

لا زلت كما كنت، تخيفني البدايات الجديدة، تؤرقني، تقض مضجعي، تتركني حيرى لمدة من الزمن، لكني مع ذلك لا زلت أطرق أبوابها، فحبي لخوض غمارها يفوق شعوري بالخوف منها فيدفعني لها، وفضولي للمشي في طرقاتها يفوق قلقي من نهاياتها فيرميني بين جوانبها.

أذيب الثلج بوقود الإرادة فتتضح لي الحقيقة، فأرى رأي العين أن ما كنت أخشاه لم يكن يستحق كل هذا الخوف الذي كنت أظنه، وأن ما كنت أخافه لم يكن بكل هذا السوء الذي كنت أحسبه.

*****

فسارعوا

يا صديقي

إن الكلمة التي لا تكتب تموت.

والفكرة التي لا تطبق تتجاهل

والعمر الذي لا يستغل يضيع

والفسيلة التي لا تزرع تذبل

والوقت الذي لا يقطع يقطع

والأحلام النائمة بلا سعي تندثر

والليل الذي لا يسرج له تدوم عتمته

فاكتب وطبق واسعَ وأسرج

*****

لا تخف

في عواصف الحياة قد نفقد الكثير من الأشياء التي أحببناها.. أو قد تحمل الريح حبوبًا من بذورٍ قد زرعناها.. أنها لا تضيع فعليًّا يا صديقي فلو بقيت في مكانها ما أثمرت من جديدٍ ولأصبحت هشيمًا تذروه الرياح.. هذا المهب ينقلها حيث المكان الذي ستولد فيه من جديد...

من قال إن التغيير يجردنا مما نحب؟!

التغيير في كثير من الأحيان يجعل معنى لما نحب إذا كان في المكان المناسب والتوقيت المناسب..

لكن التغيير يا صاحبي لا يأتي من فراغ.. إنه يحتاج إلى البذل والتضحية.. أن تقدم الكثير من الساعات والعمل الدؤوب قربانًا للوصول... فالله إن رأى من قلبك صدق النوايا وحسن العمل وفقك لما فيه خيرك في الدنيا والآخرة.

سيزهر يا صديقي الروض الذي ألقيت بذوره يومًا وتعاهدته بالسقيا.. ستخضر الأحلام وستثمر الإنجازات.. سيغدو روضك جنة تمتع الناظرين.. علهم يقولون يومًا مر وذاك الأثر.

العاصفة التي كسرت أذرعك يوما.. هي ذاتها التي كانت سببًا في نجاحك اليوم.

الحزن الذي ملأ قلبك ذات منعطف.. هو ذاته الذي جعل لكلماتك صدى ومعنى..

الدموع التي سكبتها من هول ما عانيت.. هي ذاتها الحبر الذي تخط به اليوم كلماتك في صفحات كتاب طالما انتظرته...

وكما قال جبران: (إننا مثل حبات الجوز.. يجب علينا أن نهشم كي نظهر)

الابتلاءات يا صديقي منح يسوقها الله لنا سوقًا لحكمة نجهلها ثم ندرك خفاياها فيما بعد..

طلبت مني يا صديقي يومًا ما أن أبدأ ولا أخشى وعورة الطريق.. قلت لي: إن سطرًا على سطرٍ مع الدوام عليه سيعطينا في النهاية ساقيةً لا تجف.. وبئرًا لا تنضب..

السطر على السطر يا صديقي هو ذاته الكتاب الذي تقرؤه بين يديك الآن..

السطر على السطر هو ذاته المنهج الذي كنت أسير عليه في كثير مما تمنيت واستطعت تحقيقه..

السطر على السطر هو ذاته الطريق الذي يوصلك لوجهتك بأقل التكاليف وأقل الجهود..

السطر على السطر لا يحتاج منك إلا الرغبة المشتعلة للإنجاز والتنظيم والالتزام المستمر دون انقطاع..

قال رسول الله ﷺ:
(أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)

*****

فهرس